

# المدا

من زمن التوهج



رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير

عز الدين

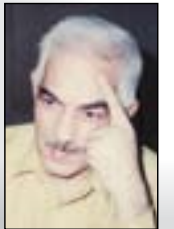
العدد (3601) السنة الثالثة عشرة -

الخميس (17) آذار 2016

[WWW.almadasupplements.com](http://WWW.almadasupplements.com)

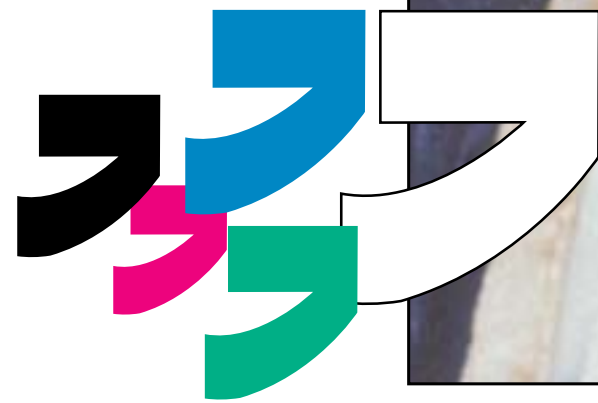
9

رعد عبد القادر..  
(يكتب كل يوم  
قصيدة موته)



## رعد عبد القادر





## رعد عبد القادر.. الشاعر أكثر كرماً من الحياة

عبد الزهرة زكي

يوم الثامن من كانون الثاني عام ٢٠٠٣، كان آخر يوم التقي فيه رعد عبد القادر. أثناء لعبنا الدومينو، سألته: ماذا عن السكري؟ كيف تشعر؟ ابتسم، وقال: لقد طمأنني الطبيب، وأشعر فعلاً أن وضعي يتحسن. كان رعد خلال عاميه الأخيرين غالباً ما يأتي من عيادة طبيبه إلى مقهى الجماهير..

وكننت أحتاج إلى أن أقرأ جديده بقدر حاجتي إلى سماع رأيه وملاحظاته في النصوص التي أنجزها من الطغراء الذي لم أجد حين قررت طبعه ما أشرف به الكتاب سوى إهدائه إلى رعد عبد القادر الذي اطلع على الجزء الأهم من العمل الأول في الكتاب (نهار عباسي) وعلى جانب من العمل الثاني فيه (رواية الهدد).

في هذين العامين أنجز رعد (صقر فوق رأسه شمس).. مجموعة كبيرة في قيمتها وفي عدد نصوصها التي أنجزت بالكامل في غضون شهرين تقريباً.. وكننت أفكر بصمت أن رعد يريد أن يستيق الموت بهذه الغزارة وبهذا التدفق الشعري الذي لا يتأتى إلا للشاعر كبير، وكان رعد

عبد القادر شاعراً فذاً كبيراً.. لقد كانت نصوص الصقر مثل حياة رعد.. نصوص تنمو إلى فيها الجمل والصور وتتسابق مثل نيازك تمر خاطفة ثم لا تلبث أن تنطفئ وتموت في ظلام..

كانت هذه أعظم سنوات رعد في الشعر.. لكنّها أسوأ سنواته في الحياة..

كانت سعادة العمل في الشعر والإنجاز به تخفف من تعاسة أيام ترمي بقسوتها عليه. كان التوازن صعباً ومستحيلاً، لكن رعد، ياشرفه الحي، كان دائماً ما يميل فيرجح كفة سعادة الشعر.. وكننت أنظر في هذا الحطام الذي يتراكم في الأعماق، أعماق شاعر شجاع.

لقد حسم أمره من قبل السلطة على أنه شاعر

معارض لا فائدة ترتجى منه.. فيما بدأ جسده الفني ومحياء الجميل بذويان شيئاً فشيئاً تحت ضربات المرض الذي لا يرتجى لمن يكون شخصيته شيء.

لم تكن بيننا أسرار، كننت أعرف اعتمال امتزاج الخوف من السلطة بمشاعر كبرياء المعارض في ذات رعد وهو يبوح لي بتمزق في داخله بين الاستجابة لنداء شقيق له في عمان بالمغادرة والتحرر من الحال الذي فيه، وبين رغبته في البقاء في البلد والوقوف على مصير السلطة والبلد والناس الذين ينتظرون حرباً متوقعة الحدوث في كل حين.. شخصياً اقترحت عليه أن يغادر، وأن يعتزل الجميع في عمان، ما دامت

أسرته ستبقى في بغداد وما دامت بغداد على وشك مواجهة المصير. قلت هو وقت لكتابة الشعر وللعلاج من المرض.. قال لي: وماذا ما دمت أكتب بهذه الحرية.. وما دام المرض يتراجع ولا أثر له.

وقبل أن نفترق في اليوم الأخير، يوم الثامن من كانون الثاني، عرض علي أن أبحث له عن بيت للإيجار في حي أور، حيث أقيم، قال إن الحرب ستبدأ وأتوقع معارك أو قصفاً شديداً في الغزالية التي يقيم فيها.. أجبت: لا تقلق، سيكون بيتنا لكليتنا حسب الموقف في منطقة أي منا..

اتفقنا على هذا الأمر.. وواصلنا لعبة الدومينو. في هذه السنوات تعلمنا لعبة الدومينو، وكان من أغرب المشاهد أن تجد يومية في مقهى الجماهير حلقة من الأربعة: سهيل سامي نادر ورعد عبد القادر وقاسم محمد عباس وأنا، وينضم للحلقة أصدقاء آخرون، كان بينهم علي بدر وصفاء سنكور ومحمد الغزوي، فيما كان آخرون يأتون من حلقات أخرى فينضموا إلى الحلقة الصامته.. لقد كانت الحلقة صامته فعلاً طوال اللعب، وكان الصمت هو دافع الانصراف إلى خيار الدومينو في المقهى الذي بات مكاناً لتجمع مثقفين، صحفيين وأدباء وفنانين وأساتذة جامعة، ومعهم طلبة وبيعة وهاربون من خدمة الجيش وعاطلون عن العمل.. كانت الأيام ساخنة بأحداث الحرب المنتظرة ومصير السلطة وأفق الحرية الذي يلوح غامضاً، وكان صمت الدومينو هو ملاذ المجموعة التي كانت تتحسب من رصد أمني متوقع لمثل هذه الأماكن وهذه التجمعات.. في إحدى المرات وفي منتصف وقت اللعب والاندماج فيه تناول رعد حقيبته وأخرج نصاً طويلاً.. كان عنوانه الدومينو، قرأته.. وكان من أفضل ما كتب رعد ومن أفضل ما خرجنا به من أيام الصمت والدومينو في مقهى الجماهير.

يستطيع رعد بمهارة نادرة أن يستخلص من

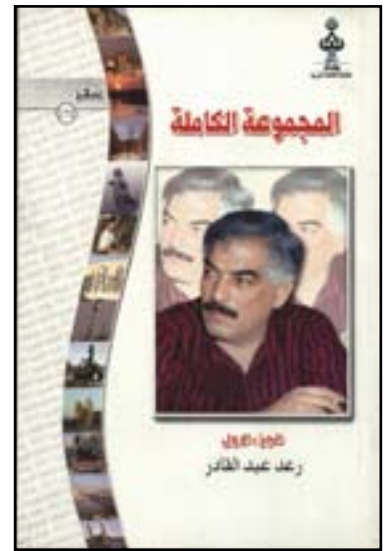
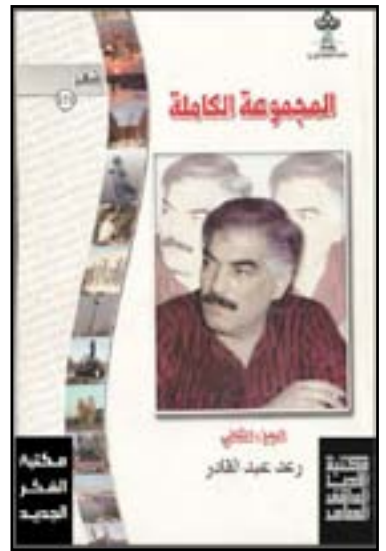
تفاصيل الحياة اليومية ومراراتها تراجيدياً تمزج بسخرية لم يألّفها الشعر كثيراً، خصوصاً الشعر العراقي المعروف بصرامته وجديته الحادتين.. ينسحق رعد في النص ويسخر، يتألم ويبتسم، يفكر ويُجن، يتأمل ويندمج، ليخرج بنص يضع المرء على شفا لحظته السوداء في التاريخ، لحظة من المرارة والضحك والحسب والكره والقوة والضعف والتحصي والاستسلام.

هذه هي لحظة الدومينو التي تكثف من جديد زمن (دع البلبل يتعجب) ثم (الأطروحة الشعبية)، هذين العملين الساحرين اللذين بهما، وبأعمال أخرى لشعراء آخرين، تخلت قصيدة النثر في العراق عن التهويم الشعري اللغوي الفضفاض الذي هيمن على كثيرين في عقد الثمانينات، وانتقلت إلى فضاء تعبيري آخر يُعنى بالموضوع ويهتم بالمعنى الشعري ويتخفف من ادعاءات مبهمة سابقة عن تفجير اللغة واحتقار الدلالة

الشعرية وتسفيه أية قيمة إنسانية لعمل الشعر سوى قيمة التداخي الحر والفضوي للصور والكلمات.

لكن تجربة رعد عبد القادر، حتى في ثمانينات الالامعنى الشعري، بقيت بمنأى عن تلك الفوضى.. لقد أسهم بحويوية في إنجاز التحول إلى قصيدة النثر.. لكن بإبقاء مسافة واضحة بين طبيعة عمله في الشعر وبين الطبيعة التي اختار التحول باتجاهها شعراء آخرون، سواء ممن اصطلاح على تسميتهم بالسبعينيين أو الثمانينيين. ويمكن الإشارة إلى عمله الشعري المهم الذي أنجزه في الثمانينات (أوبرا الأميرة الضائعة) كبرهان على الطبيعة الخاصة لعمل رعد في الشعر واهتمامه بالمعنى الشعري وتأنيه عن مجانبة التعبير اللغوي في الكثير من الشعر، شعر آخرين، الذي أنجز بالتزامن مع الأوبرا، وفي بحر الثمانينات.

في الثمانينات تعرفنا في سنتها الأولى على



رعد عبد القادر وعبد الزهرة زكي

بعضنا. حدثت تعرفنا بمصادفة غريبة كان ثالثاً فيها الصديق الشاعر شاكر لعبي..

ففي اليوم الذي قرر فيه شاكر مغادرة العراق نهائياً كنا معاً في مقهى البرلمان.. على مقربة منا في المقهى كان رعد عبد القادر.. قال لي شاكر، وكان يتكلم على موضوع هجرته، ونحن نهم بمغادرة المقهى: لأودع رعد.. هذا رجل يستحق أن أودعه ولا أخشى معرفته بأمر سفري.. في هذا الوداع تعرفت على رعد.. وقبلت تعرفنا كنت قد قرأت لرعد وكان قد قرأ لي، وبعده بدأت صداقة كان يومها الأخير في الثامن من كانون الثاني ٢٠٠٣، اقترقنا مساء في مقهى الجماهير..

يوم السبت، الحادي عشر من كانون الثاني، ومن مبني جريدة الجمهورية، اقتادني ثلاثة من رجال الخابرات.

في السيارة البيك أب، وكننت في مقعدها الخلفي بين ضابطين، وفي الطريق السريع إلى سجن الحاكمية كان الصمت ثقيلاً.. تجرأت وطلبت أن يسمح لي بالتدخين، رفض الاثنان بازدياء.. غير أن الثالث الذي كان في المقعد الأمامي أمرها بالموافقة: لا بأس.. ليدخن، ميزت نبرته الطيبة، لكن الذهن كان بعيداً عن الجميع منشطراً باتجاهين: لماذا جرى اعتقالنا؟ من جانب، ومن جانب آخر تأمل في شريط صور الأطفال والزوجة والعائلة الكبيرة وصور الأصدقاء يقدمهم رعد..

في السجن كان حضور رعد دائماً معي، في زنازاتي الانفرادية.

كننت أخشى أن يجررني إلى التحقيق بسببي، كان معروفاً أنه من أقرب أصدقائي، وقد يكون مفيداً في التوصل إلى سر لم يبلغوه، هكذا تخيلتهم يفكرون، وأنا أرمي في الزنازاة الانفرادية في الثالثة عصر اليوم نفسه، إنها الساعة التي غالباً ما نلتقي فيها معظم الأيام في مقهى الجماهير..

فيما كنت، أحياناً أخرى، أنحسب من أن يستغل وضعي لجريرة رعد للتحقيق أو التوقيف في أيام ملتبسة ومشحونة بكل الاحتمالات.

وبعد عشرة أيام انفرادية، تحولت إلى زنازاة أخرى مع سجناء آخرين، وجدت سجيناً من سامراء، كان نجس كليدار روضة الإمامين العسكريين، كان زميل رعد عبد القادر في الابتدائية والإعدادية، فكان رعد تاريخاً مشتركاً بيني وبين ذلك الرجل السامرائي النبيل، وموضوعاً لأحداث يحتاج إليها سجينان في زنازاة لا يميزان فيها الليل عن النهار.

يوم الأحد الثاني عشر من كانون الثاني جاء رعد إلى بيتي، التقى زوجتي وأولادي مستفسراً عما إذا كانوا بحاجة إلى أمر ما.. تصفه زوجتي في ما بعد: كان واضحاً عليه القلق، وكان واضحاً حجم الألم الذي يورابه عن امرأة جاء ليخفف عنها وليطمئنها في شأن لا يحتمل الاطمئنان.

في ليل ذلك اليوم، بقى يهاتف أصدقاء مثقفين طالباً تدخلهم لإطلاق سراحه.. كما روى لي ذلك، في ما بعد، الأصدقاء أنفسهم.

صباح اليوم التالي وجد رعد وحيداً ميتاً في بيته، وقد فتح كل نوافذ البيت وأبوابه.

حينما تعلق بالحياة كل نوافذها على الشاعر، ينهض الشاعر فيفتح النوافذ كلها على العالم، الشاعر أكثر كرماً من الحياة.



# رعد عبد القادر.. قصائد غير منشورة ومقالة في الخيال وتنظيمه

يشبه بيت رعد عبد القادر من الداخل كتابا مفتوحا، كانت تلك ملاحظته هو وقد ذكرها أمامنا أكثر من مرة، جلسنا في صالة صغيرة تطل على باحة داخلية مفتوحة تدخل منها أشعة الشمس، باحة زجاجية فيها شجيرات صغيرة وأصص زهور، أشارت زوجته إلى الغرفة التي رحل فيها، أشارت إلى الأريكة التي استلقى عليها آخر مرة، قالت انه كان ينام عليها بعد أن يفرغ من كتابة قصائده، وقد كتب عليها قصيدته الأخيرة، قصيدة موته أيضا، لم يكن يجلس أمام منضدة ليكتب، كان يتمدد على الأريكة مثل تلميذ يؤدي واجبا مدرسيا ثم يغفو عليها بعد أن ينتهي من الكتابة.

## سعد هادي

الخيال إن بقينا بحدودها، بالقدر الذي تكون ملكة الخيال من دونها ضعيفة، إذن لابد من امتلاك هذه المعرفة ومن ثم لا نقول بتبديدها بل خزنها حية وطرية، لنا القدرة على استدعائها حال احتياجها، أثناء عملية الكتابة، على إن هذا الاستدعاء هو أمر غير محسوب بشكل ميكانيكي، ولا حتى بشكل سحري، وإنما هو يجري بصورة تلقائية نتجبة تفاعل خلاق بين الشاعر وعالم نمسه وواقعه.

## رعد عبد القادر .. الخيال وتنظيمه

النقطة الأساس في شؤون الكتابة الشعرية هي الخيال، والخيال بحسب ما أتصور هو نتيجة الطاقة العقلية المتفاعلة مع الواقع والقادرة على توليد المشاعر والأحاسيس والتصورات والأفكار وجعلها كأنها تجري في مشهد سينمائي مركب من لقطات وصور وبدون هذه الطاقة لا يمكن إنتاج شيء بالمرّة، ولكن كيف تتكون هذه الطاقة؟ وبعيدا عن أي كلام في فلسفة الدماغ والأعصاب، وقريبا من كلام الشاعر، نجد أنها تتكون من الاحتفاظ بخبرة الحواس بعد التركيز والإصغاء الشديد لما يرى ويسمع ويلمس ويشم ويداق، لتتولد بعد ذلك الخبرة والمعرفة الحسية، إلا أن هذه المعرفة الحسية تبقى عائقا أمام أي تطور في ملكة

استكتشف وجود نسخ معدلة من المخطوطات تمت الإضافة والحذف منها وصولا إلى النسخ النهائية والتي منها هذه المختارات وقد أعدها د. حيدر سعيد وقاسم محمد عباس وهما من أقرب أصدقائه إليه في سنواته الأخيرة إنسانا ومتفكسا، لتمثل رعدا في أوج نضجه. ولتمثله أيضا شاعرا ذا مشاغل متعددة، رمزية وصوفية وتاريخية وأكثر من ذلك شاعرا غامرا في اختراق أسوار الميتولوجيا البعيدة ليؤلف ميتولوجيا يومية يعيشها الإنسان العادي. سنتيقن أيضا إن في هذه القصائد محور يتكرر بخفاء تارة و بجلاء تارة أخرى هو الموت وأنه كان هاجسا دائما للشاعر. سنتكتشف سحر اللغة وهي تتحول إلى صور وإيحاءات ومخاوف صغيرة وحدوس وسكتشف أشياء تأتي من داخل القصائد لا من خارجها كما يحدث في النصوص الكبيرة دائما.

كان فمّة تخطيط جريء على إحدى المسودات بقلم الحبر الجاف، سألت إلهاما زوجة الشاعر: لمن هذا التخطيط؟ قالت: انه لرعد، كان يرسم أحيانا ولديه تخطيطات تخيلوا المسافة بين الغزالية (القريبة من أبي غريب) والاعظمية، في شؤون ع مظلمة وتحت القصف، أعطوه حبة تحت اللسان وقال له الطبيب إن حالته حرجية وعليه أن يجري فحصا عاما، لا أستطيع إلا أن اصف حالتني، كنت أفكر بالطفل الذي تركته وحيدا وبالوقت والطريق الصعب وأشياء أخرى، كان حيدر ما يزال نائما حين عدنا واستمرت حالة رعد تتأرجح بين الحياة والموت منذ تلك الأيام، كانت إحدى قصائده تصف نعشا يخرج من البيت وقد وضع عليه غطاء عليه زهرة، المشهد نفسه تكرر ونحن نبحث عن الغطاء وجدته، كان الشعر كل حياته، ولكنه كان متواضعا، قبل أيام من موته قال باعتدال لأول وآخر مرة: ستفهمون يوما إنكم كنتم تعيشون مع شاعر كبير. كان يكره المال، ورفض عرضا بمبلغ مفر لنشر كتاب له رغم حاجتنا... كان يحب الحياة وكان موسوسا بشأن صحته إلا انه كان يكره الأطباء والمستشفيات.



ذهب وجاءت برزمة من الدفاتر والأوراق، تلك هي تركة الشاعر إذن، سنتكتشف بعد أيام إنها تضم ١١ كتابا غير منشور، أي إن ما تركه الشاعر يزيد عن ضعف ما نشره في حياته، كما

كان يتعذب بصمت دون أن يخبرني بشيء، بدأت الحالة لديه عام ١٩٩١ في ظل أجواء الحرب، انزوى في الصالة أثناء القصف وطلب مني أن اذهب مع ابنا الوحيد إلى غرفة أخرى، نام حيدر الذي كان في العاشرة، وحذست إن رعدا في وضع غير طبيعي، نهبت إليه فوجدت أقرب إلى الموت، لم يتحدث عن مرضه من قبل، كان يخفي أشياء من هذا النوع، حجول حتى معي، ساعدته على ركوب السيارة، كان في غيبوبة وكان القصف شديدا، لم اكن اعرف مستشفى قريبة، أخذته إلى المستشفى الوحيدة التي اعرفها، مستشفى النعمان في الأعظمية، تخيلوا المسافة بين الغزالية (القريبة من أبي غريب) والاعظمية، في شؤون مظلمة وتحت القصف، أعطوه حبة تحت اللسان وقال له الطبيب إن حالته حرجية وعليه أن يجري فحصا عاما، لا أستطيع إلا أن اصف حالتني، كنت أفكر بالطفل الذي تركته وحيدا وبالوقت والطريق الصعب وأشياء أخرى، كان حيدر ما يزال نائما حين عدنا واستمرت حالة رعد تتأرجح بين الحياة والموت منذ تلك الأيام، كانت إحدى قصائده تصف نعشا يخرج من البيت وقد وضع عليه غطاء عليه زهرة، المشهد نفسه تكرر ونحن نبحث عن الغطاء وجدته، كان الشعر كل حياته، ولكنه كان متواضعا، قبل أيام من موته قال باعتدال لأول وآخر مرة: ستفهمون يوما إنكم كنتم تعيشون مع شاعر كبير. كان يكره المال، ورفض عرضا بمبلغ مفر لنشر كتاب له رغم حاجتنا... كان يحب الحياة وكان موسوسا بشأن صحته إلا انه كان يكره الأطباء والمستشفيات.

ذهب وجاءت برزمة من الدفاتر والأوراق، تلك هي تركة الشاعر إذن، سنتكتشف بعد أيام إنها تضم ١١ كتابا غير منشور، أي إن ما تركه الشاعر يزيد عن ضعف ما نشره في حياته، كما

# و

ما يميّز كتابة الشاعر العراقي رعد عبد القادر في مجموعته «صقر، فوق رأسه شمس» هو ضالة استخدام ضمير المتكلم وتواري الشاعر خلف جملة غير منحازة، تصف وتخبّر. ليس القصيد أن يستخدم ضمير الغائب مثلا، بل هي محاولة لتقديم القصيدة الى القارئ من دون الشحنة الذاتية أو الشخصية التي غالباً ما تميز الشعر وكتابة الشعر. أما في الشعر العراقي فيبدو أن ما يفعله رعد عبد القادر أكثر جدارة بالانتباه والملاحظة، إذ ان هذا الصنيع قليل الحضور والأثر في الشعر العربي الراهن عموماً، وهو أقل وأندر في الشعر العراقي الذي تتصف تجارب الكثير من شعرائه بلغة شخصية جارحة وقاسية.

## حسين بن حمزة



# ديوان رعد عبد القادر الأخير.. حساسية القصيدة في حياديتها

ولابد من أن تواري الشاعر أو طمره لذاتيته يخرج جزءا كبيرا من تجربته وكتابته من أرومة كتابة عربية يسهل تحديد أوقها الثبوتية وهويتها وأشكال تمظهرها. رعد عبد القادر لا يمثل فرادة ما في هذا السياق، انه يلتحق بعدد من الأسماء والتجارب الشعرية التي بذلت جهوداً تكوينية ورائدة في اطلاق كتابة هجينة نشأت في ظلال الترجمات والقراءات الأجنبية، كتابة قوية ورشيقة ونافذة ومنجزة بلغة عربية مجددة فيها كل عناصر أو إحياءات أو ملامح هذه اللغة، لكنها تستثمر مخيلتها في نبرات وتدرجات وإيقاعات وأداءات شعرية جديدة وغريبة. انها محصلة تفاعل وتراكم طويل ليس هنا مجال التفصيل في شرحه وتتبع نشوئه أو صل كتابة الشعر الى الاحتفاظ ببراء الجملة العربية واستعانتها ولكن من خلال كسر تركيبها اللغوي وإكسابه حيوية حياتية ذات حساسيات مجلوبة من خارجها وقيادة معنى جملتها باتجاه نبرة متشغلة من البذخ والفصاحة والبلاغة والاكتمال واليقينية والضخامة والمبالغة والميلودراما... الخ.

اللغة التي يكتب بها رعد عبد القادر تتحرك داخل هذا العالم، لغة متحررة من وطأة أو ثقل التجربة الشخصية بمعناها السطحي، أي حين تكون التجربة أول ما يصادفه القارئ في القصيدة، لغة تنتم المعنى أغلب الوقت وتقوم بإخفائه في كلمات و عبارات محايدة وباردة ومطفاة أو تدفنه تحت سطح الجملة بما يذكّرنا برييتسوس مثلاً الشاعر، بهذه الطريقة، يقول تجربته

يروي ألمه وإحساسه الشخصي من دون أن يسمي ذلك ومن دون أن يتخذه مطية سهلة ومفضوحة للكلمات.

كتابه رعد عبد القادر توجي للقارئ بأنها تكتب بعيداً منه على رغم ان كل لحظة من لحظات انجازها تذكر ببصمة الشاعر ونبرته وطموحاته. ويزيد من شعور القارئ بهذا وبغاقمه الجملة المحايدة التي غالباً ما يبدأ بها الشاعر قصيدته، كأن يقول: «الشجرة المرسومة على الحائط/ أخذت أزهارها تتفتح، أو هؤلاء الذين مسحوا سبطانات سلاحهم بقطع القماش الجافة». الجملة لا ولي

وهذا في الواقع ينطبق على معظم الجمل في غالبية القصائد، مكتوبة بلا ضجة، بطريقة مبتكرة وطانجة، مكتوبة بكلمات قليلة وبعبارة أقل وحيادية وبدقة الى درجة ان القارئ يتساءل أحيانا إذا ما كانت هذه الكتابة تعني الشاعر وتخصّه كما تعني قصائد أي شاعر آخر له. الحياضية والدقة وقلة العاطفة صفات تصلح لوصف معظم ما يكتبه رعد عبد القادر حتى انه يرسم صورة الشاعر الغضلة لديه في آخر قصيدة من الكتاب: «كتب قصائد موت كثيرة/ إلا أن أية واحدة منها لم تكن قصيدة موته/ يبدأ القصيدة وينتهيها من دون أن يعنى بعاطفته/ أو بعاطفة قصيدته». ولأن عوالم هذه الكتابة ومناخاتها بالقصيدة اليومية، ولكن من دون أن تكون قصيدة تفاصيل نافلة وشؤون عابرة ونثرية حياتية صغيرة. انها أقرب الى القصيدة اليومية لأنها قصيدة نثر حقيقية واضحة الانتماء، ولكنها العواطف التي جفّت سيولتها واحتفظت ولكنها، حيث بإمكان الشاعر أن يكتب في قصيدة «النساجون»: «قدماء وجدد/ ليس من فرق بين غيمة وغيمة، كلها غيوم، السوداء والبيضاء، ليس من فرق، سيان/ الأمل الأخضر والخيبة الداكنة الخضرة/.../ يشمس أو من غير شمس/ بخضرة الأمل أو بخضرة الخيبة/ بحوار أو من دون حوار/ بحياة أو بموت/ ليس من فرق سوى هذا الخيط الذي لا يرى/ إن كان في نسج القدماء أو في نسج الجدد/ كله نسج/ وكلهم نساجون». وحتى حين يطلق الشاعر سراح العاطفة قليلاً فإنه

يراعي أن يترافق شجوها وغناؤها مع تجريد المعنى من انشائيته وقصديته المباشرة: «يا الهي كم أحبك وأحب بيتي، لن أسافر. أحب مكتبتي، هذا الكتاب لم أقرأه بعد/ هذه السنة سنتتبي مثل التي قبلها/ أحب هذه السترة، لونها الغامق كلون عينيك/ انظري الى الحديقة في أي وقت نحن؟ أحب هذه الشجرة وابتسامتك الزهرة، كم أحب في الصباح انهما في الضوء تسكبان العطر في الحليب، تصنعان من الخبز أعياداً وأساطير، كم أحب هذا البيت وقت المطر، غمازة خديك/ لن نخاف في هذا الجو الممطر/ انظري كم يبدو بيتنا جميلاً من الخارج/ انها تمطر/ إنه يسافر».

يكتب رعد عبد القادر قصيدة أقرب الى ما سمي بالقصيدة اليومية، ولكن من دون أن تكون قصيدة تفاصيل نافلة وشؤون عابرة ونثرية حياتية صغيرة. انها أقرب الى القصيدة اليومية لأنها قصيدة نثر حقيقية واضحة الانتماء، ولكنها العواطف التي جفّت سيولتها واحتفظت ولكنها، حيث بإمكان الشاعر أن يكتب في قصيدة «النساجون»: «قدماء وجدد/ ليس من فرق بين غيمة وغيمة، كلها غيوم، السوداء والبيضاء، ليس من فرق، سيان/ الأمل الأخضر والخيبة الداكنة الخضرة/.../ يشمس أو من غير شمس/ بخضرة الأمل أو بخضرة الخيبة/ بحوار أو من دون حوار/ بحياة أو بموت/ ليس من فرق سوى هذا الخيط الذي لا يرى/ إن كان في نسج القدماء أو في نسج الجدد/ كله نسج/ وكلهم نساجون». وحتى حين يطلق الشاعر سراح العاطفة قليلاً فإنه

# رعد عبد القادر

(١٩٥٣ - ٢٠٠٣ م)



## سيرة الشاعر:

رعد بن عبد القادر بن ماهر الكنعاني. ولد في مدينة سامراء، وتوفي في بغداد. عاش في العراق. تلقى مرحلتيه الابتدائية والمتوسطة في مدينة سامراء، وفي بغداد حصل على الثانوية، ثم أكمل دراسته الجامعية بجامعة بغداد. واصل دراسته العليا فحصل على درجتي الماجستير والدكتوراه في مجال الدراسات الإسلامية والعربية. عمل سكرتيراً لتحرير مجلة الأعلام البغدادية مدة طويلة، كما عمل موظفاً في وزارة الثقافة والإعلام ببغداد.

## الإنتاج الشعري:

له عدد من الدواوين: «مرايا الأسئلة» - وزارة الثقافة والفنون - بغداد ١٩٧٩، و«جوائز السنة الكبيسة» - دار الشؤون الثقافية العامة - بغداد ١٩٩٥، و«دع البلبل يتعجب» - مطبوعات اتحاد الأدباء في العراق - بغداد ١٩٩٦، و«أوبرا الأميرة الضائعة» - دار الشؤون الثقافية العامة - بغداد ٢٠٠٠، ونشرت له مجلة الأعلام عدداً من القصائد منها: «الغابة» - العدد (٤) - السنة (١٢) - ١٩٧٧، و«بستان الدمع» - العددان (١١)، (١٢) - السنة (٢٢) - ١٩٨٧، و«جمل شعرية» -

## نصوص

### من مرايا الأسئلة

أيهما المنزل  
خطونا المقبل  
يبنتي ملكة في السماء  
ويرش على حجر روجه  
وهو ربي  
ودرب  
وقافلة  
وهو أفق  
تفتح هودج  
ومسلاته شجر خيمة  
ورميننا  
فكان زجاج المرايا على خطونا  
حجرين  
أيهما المنزل  
خطونا المقبل  
يبنتي ملكة في السماء

ويخرجُ طفلٌ  
عليه بهاء الزمان  
حاملاً بيديه كتاباً  
وتعويذة للجنون  
الملامح تنبئ عن شاعر  
- هاجر الأفق ثم اختفى كوكباً -  
ليس كالأرض وجهته  
والسفر  
ليس غير الفضاء  
طفولته:  
منزل  
لعب  
سالمة من غصون الشجر  
وأوقاته حجر يتلها به  
أو ممالك من ورق  
أو سيوف من الطين، يصنعها  
أو خيول من الضحكات  
ورفقتة: نجمة في سماء  
وينغلق الباب يفتح  
يخرج شيخ  
تنام التواريخ في مقلته  
جبال تمر به

## ملامح شاعر

يا خطي الناس بين هوالك وبين رداك  
تفبض على ساحة - كنت تماثلاً -  
ثم ترجعني للحياة  
تضح الشوارع يفتح باب

وبحارٌ تحاوره  
وطيورٌ تهاجرة

## يا فرات

لماذا التباكُ شمس قرانا؟  
لماذا الوجوه تفتش عنك  
بطيات أسماننا  
ونزيف خطانا؟  
أتدري؟  
وكفك أقرب من صخرة  
إن مررت بها تستحيل غناء  
وظلك يمتد من نخلة  
يا فرات  
إذا نبل السعف فيها  
يموت كلانا

## أمستذكر وطنًا؟

إذا ما تلفت وجهك  
والتف بالغم سعف النخيل؟  
إذا همهمت فرس في الطريق  
ومرت بك العرابت مودعة؟  
أتستبدل الدرب والغمم والهمهمات  
بمحل الخطى واتساع النظما والجنون؟  
أمستذكر وطنًا أنت في دمه

العددان (٢٠١) - السنة (٢٧) - وجوائز السنة الكبيسة - العددان (٣٠١) - السنة (٢٩) - وقصيدتان - العدد (٥) - السنة (٣٣) - ١٩٩٨، وقصائد الأشتباه: العدد (٢) - السنة (٣٤) - ١٩٩٩.

بالحركة والنفاذ، خياله طليق، تميز بنفس شعري ممتد اقرب به إلى ما يشبه الكتابة المحمية، التزام النظام السطري إطاراً في بناء قصائده، مع استتماره لتجليات الأسطورة والرمز.

## الأعمال الأخرى:

له عدد من المؤلفات منها: نظرية الولاية العامة للقبه: أصولها العقدية وتطورها التاريخي - رسالة علمية نال بها المترجم درجة الماجستير - كلية الشريعة - بغداد - ١٩٩٠، وفلسفة التراث العربي الإسلامي - رسالة علمية نال بها المترجم درجة الدكتوراه. يجيء شعره استجابة فعليه لدعاوى التجديد في الشعر؛ تلك الدعاوى التي استغرقت النصف

## مصادر الدراسة:

- ١ - صباح نوري الرزوك: معجم المؤلفين والكتاب العراقيين (١٩٧٠ - ٢٠٠٠) بيت الحكمة - بغداد ٢٠٠٠.
- ٢ - محمد صابر عبيد: الشعر العراقي الحديث: قراءة ومختارات - عمان ٢٠٠٢.
- ٣ - يونس إبراهيم السامرائي: تاريخ شعراء سامراء من تأسيسها حتى اليوم - مطبعة دار البصري - بغداد ١٩٧٠.



أضع عيني على الفتحة  
انظر في الداخل إلى الخيوط  
إلى الدمى المتحركة..  
إلى خيالي يلتصق بوردة الظل  
في الضفة الأخرى من الحياة،  
إلى وردة المكان المهدم.

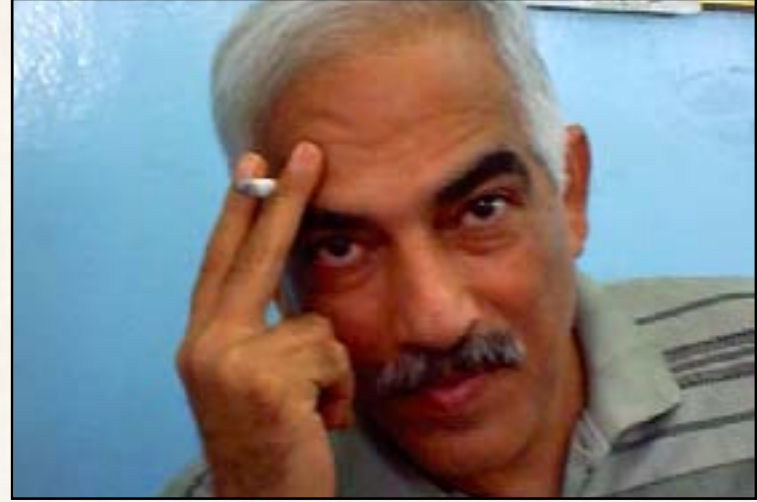
أضع عيني على فتحة في جدار.  
هذا أحد النصوص التي أهداها الشاعر رعد عبد القادر (١٩٥٣ - ٢٠٠٣) لصديقه المقرب الشاعر عبد الزهرة زكي، فقد كتبت هذه النصوص التي عنوانها بـ«رسائل إلى الضفة الأخرى» بتاريخ ١ آذار ٢٠٠١، ضمن مجموعة غير منشورة في وقتها» في ذكرى ساعي البريد».



علاقة عبد القادر بزكي لم تكن عابرة، بل إن أحد أسباب انهيار صحة عبد القادر وإصابته بالذئبة القلبية التي أدت إلى وفاته في الثالث عشر من كانون الثاني في العام ٢٠٠٣، كانت بسبب اعتقال زكي من قبل المخابرات العراقية، في عهد النظام المباد. كان عبد القادر يمشي من دون وعي ولا يعلم بوجود آخرين طوال أيام اعتقال زكي، وكنا نرى صحته تنهار شيئاً فشيئاً حتى فوجئنا برحيله في يوم لم يكن كباقي الأيام، ففي الوقت الذي كنا نتألم لاعتقال زكي، ومحاولات بعض الأصدقاء لمعرفة مكان اعتقاله، والأسباب التي أدت لذلك جاء خبر رحيل عبد القادر ليفجر الألم الحقيقي، الذي كنا نخزنه منذ عشرات السنين. كانت أمنية عبد القادر قبل رحيله هو أن يرى زكي حراً، غير أن هذه الحرية لم تأت إلا بعد الرحيل بأيام ليست بالطويلة، فبدلاً من أن نذهب لعبد الزهرة زكي لهنتهته على إطلاق سراحه، كنا نذهب إليه لنعزيه برحيل صديقه الذي لا يقبل بفكرة حريتنا المخورة.

## الشعر وتحولاته

ابتعد رعد عبد القادر عن صخب السبعينيين؛ أصدقاؤه وشعراء جيله، على الرغم من انه في أكثر من حديث يرفض أن يركن في خانة جبل، فكان يحب أن يبقى مخلقاً في الشعر من دون تقسيمات ولا تبويبات جيالية أو شكلية في القصيدة، فكانت مجموعته الأولى (مرايا الأسئلة) التي صدرت في العام ١٩٧٩ تحمل روح المغامرة والمغايرة، ومن ثم كتب مجموعته الثانية (أوبرا الأميرة الضائعة) التي لم ينشرها إلا في العام ٢٠٠٠. أكثر من عشرين عاماً كان يخبئ هذه المجموعة في خزائنه حتى صدرها، وقد أسماها (كتاباً شعرياً)، لأنه، تولدت لدى أحلام شعرية ممتزجة بأحلام حياتية في كتابة سيرة حلمية شعرية تمسك بثيمة الجمال، وتخلق من حولها عالماً يوازي نهارات الروح ولياليها الضائعة بالكشوفات، رافقتي حلم الكتابة، وتكت واقعا بين منطقتي عالم الخيال وعالم الواقع.. أو أقع في منطقة الجدل واللبس أن ترقص وللشمس أن ترقص السر في الباب وثمة إباءة وشرارة تنبض خلف الباب



# رعد عبد القادر..

# (يكتب كل يوم قصيدة موته)

## صفاء ذياب



إصدار هاتين المجموعتين، فـ«جوائز السنة الكبيسة» صدر بالكامل بخط يدوي يشبه المخطوطات العربية من جهة، وكتب الطلاسم من جهة أخرى. أما «دع البلبل يتعجب» فقد كان أنموذجاً للشعراء التسعينيين في كتابة القصيدة اليومية التي اشتغل فيها عبد القادر من خلال تمثل كل ما يمكن أن يحيط بنا، نحن العراقيين، من حيوات لم تمر إلا علينا نحن. أما كتابه المشير للجدل (الأطروحة الشعرية)، وقد نيله (نص في الكتابة الشعرية الجديدة) فعلى الرغم من إنجازها في العام ١٩٩٤، إلا أنه لم يتمكن من طباعته حتى يوم رحيله.

## قصيدة نثر خاصة

على الرغم من كتابة رعد عبد القادر أكثر من مجموعة شعرية كقصائد نثر، غير أنه كان يبحث عن أنموذجه الخاص، الأنموذج الذي يسعى للتقريب به عن نصوص النثر العراقية والعربية. فبعد أكثر من كتاب شعري - يؤكد عبد القادر أن اشتغاله دائماً ضمن كتاب شعري وليس مجموعة قصائد مجموعة في كتاب - أصدر مجموعته الشعرية الأخيرة - في حياته - تحت هاشم قصائد نثر، وقد كانت بعنوان (صقر فوق رأسه شمس). لم يصدر هذا الكتاب ضمن دار نشر معروفة، بل أصدره بطريقة الاستسناح وكان الغلاف «كارتونا» جلدياً خط عليه العنوان بالسكريين، إلا أنه أخذ شهرة كبيرة أكثر من أية مجموعة شعرية سابقة لعبد القادر. فالأسلوب الخاص الذي اشتغل عليه في كتابة هذا الكتاب كان واضحاً، ولغته كانت أقرب للغة اليومية التي تسعى قصيدة النثر العراقية للوصول إليها. وعلى الرغم من المجموعات الكثيرة المخطوطة التي كانت لدى عبد القادر، إلا أنه أصر على إصدار هذه المجموعة لأهميتها عنده، ولعرفته بالمغايرة التي كان يبحث عنها، والتي أراد أن يعرف بها. وربما كانت من أواخر قصائد المجموعة نبوءة تنصاف للنوعات الشعرية العراقية، وهي نبوءة عبد القادر بموته القريب: يكتب قصيدة موته. يكتب قصيدة موته كل يوم. يكتب كل يوم قصيدة موته الجديدة.

وكلما انتهى من القصيدة توقع إنه وضع خاتمة لحياته







(نم هادئاً بأمان/ سبعُ شُجيراتٍ وردٍ يَحْرُسُن  
نومكُ وطائرٌ يصفرُ لحناً سماوياً نم هادئاً/ دع  
النهاية مفتوحة وأغلق الباب جيداً وإن قرعوا لا  
تفتحُ/ القصيدة قرب رأسك وقدرج الماء وطائر  
البرق في نومك/ هل رأيت أحداً في الحقيقة؟  
وإن قرعوا لا تفتحُ/ دع النهاية مفتوحة وأغلق  
الباب جيداً وإن قرعوا لا تفتحُ/ نم هادئاً.. هادئاً  
بأمان).

من قصيدة: (أغنية لطائر البرق)  
رعد عبد القادر

عبد الكريم كاظم

## رعد عبدالقادر..

## المقياس الشعري لخزائن الحواس

يقول الشاعر العراقي الراحل رعد عبدالقادر في مقال له نشر بعد رحيله بعنوان الخيال وتنظيحه: (إن العلاقة بين الخيال وبين النص الشعري هي علاقة غير ظاهرة إلا بالقدرة على تنظيم وقائع الخيال داخل النص، وما نجده، في الحقيقة، من تنام في بناء النص الشعري هو ليس أكثر من القدرة على تنظيم تلك الوقائع بالخيال التي يفتح بها الشاعر خزائن حواسه أولاً ومن ثم يتصرف بها، كأنه الملك المطلق لها، أثناء جلده مع الواقع بفعل الكتابة وعليه نصيف، إن التفكير بالنص الشعري أو بدلالاته الجمالية الفنية غير ممكن الصوت دون اسناد من المدرك الحسي أولاً الذي يمهّد لادراك الفكري وهذا بدوره ينظم العلاقة فيما بعد، التي اشار إليها الشاعر، بين الخيال والنص الشعري، وهنا لا تختلف مع ما أراد توضيحه لنا الشاعر رعد من أن الخيال

المنظم يضع تكوين النص الشعري داخل نظامه المعرفي أو الفني الصارم بوصفه عملية إبداع حر لا تعوقها اللغة، لذا يبدو طبيعياً أن نتفق معه بالقول، أن الخيال والنص متواصلان أو متلازمان ولا تباعد بينهما. اللغة الشعرية اللبيقة بتفاصيل الحياة اليومية تمتلك الغارء حيث يبدو جزء من الجمال الخفي مضاعف بلمسة الشاعر والطاقاته الشغوفة بالجمال والتي تتراكم بجذوى الشعر نفسه حين يلتهم التفاصيل وينشرها على البياض لتخبر عتمة السطور، يغارب بناء النص الشعري لدى رعد عبدالقادر البناء اللغوي الجمالي المحكم فسا من مفردة عابرة وما من تناقض، إنه أشبه بالنصائح لحظة كتابته للقصيدة خصوصاً وهو يتجنب الزوائد اللفظية التي تتعارض وضمون اللفظ والمعنى والدلالة لديه، إنه متفق مع الفاظه، منسجم مع خياله رغم كل شيء فقرة

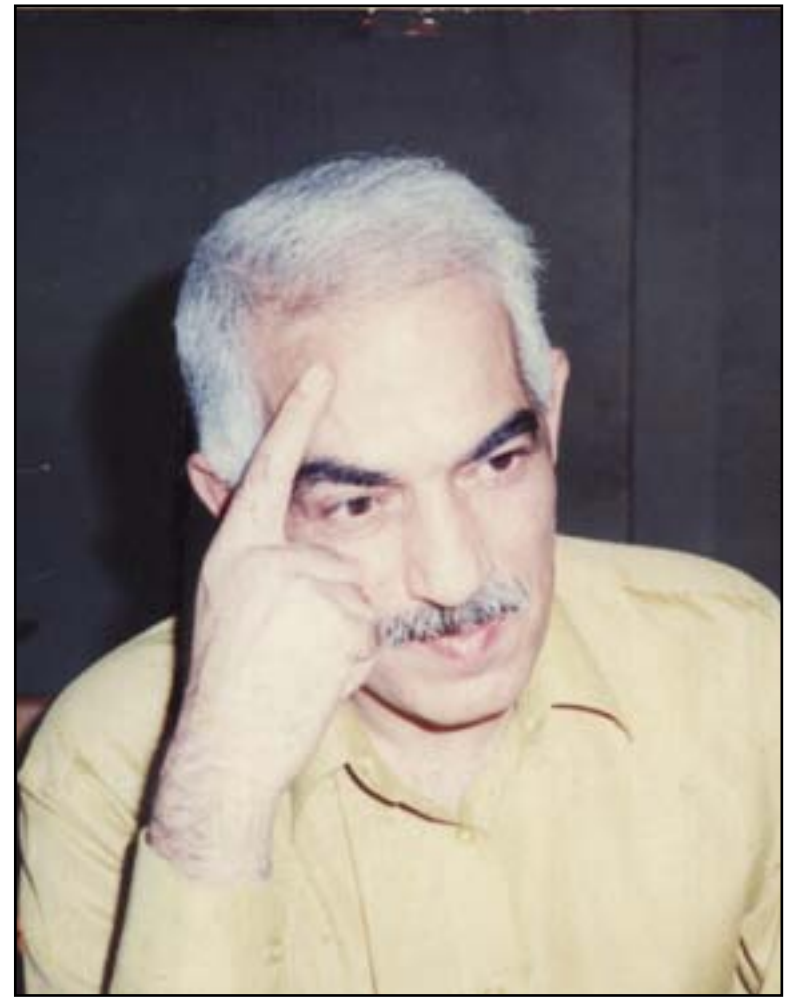
الفاظ وعبارات لا علاقة لها بالشعر تتجاوزها حساسيته الشعرية بمنتهى الدقة والذكاء لذلك نراه يزيح الزوائد من عباراته الشعرية ليجعلنا نمتلك المقدره على الإصغاء والتأمل خصوصاً حين يتعلق الأمر بموسيقى اللفظ الشعري وهذا الأمر ينسجم هو الآخر مع رأي الشاعر الفرنسي بول فاليري الذي صرح به ذات مرة قائلاً: (تعلمنا موسيقى اللفظ كيف نقيس فترات صمتنا)، يكتب رعد القصيدة التي تعلمنا على ايقاظ الحدس وفي هذه الحالة نستطيع اطالة أمد التأمل المرتبط بالحدس بشكل خاص وهذا الأمر يجعلنا نستقبل نصوصه البانخة بشكل لائق ليشعرنا بالغبطة والدهشة نتيجة للتوظيف الدقيق لأبيات اللغة والنسج الجميل المترام لا لفاظته الحاملة لرصيد هائل من التفاصيل الفنية، ونستطيع تلمس ذلك من خلال هذا المقطع الذي يبدأ به قصيدته: (نم هادئاً بأمان/

يركز على موضوعي التجديد والتجريب يهدوء شفيف، شبيهه بذلك الهدوء الذي أنجز خلاله مجموعته الشعرية الأولى (مرايا الأسئلة/ ١٩٧٩) مروراً بمجاميعه الشعرية اللاحقة، وأقل ما يمكن من الخسائر كما كان يدرك بوعي الشاعر إن التحدي الحقيقي الذي يواجهه القصيدة المغايرة هو هذا الكم السالب السائد حينذاك، من النصوص الإنشائية والتعبوية المستهلكة على حد سواء وبهذا تمكن من استكمال وتطوير ما لم يتمكن غيره من إنجازه بالمعرفة والعمل الدؤوب والصمت ليستعيد الشعر لديه ولدى البعض من مجايليه موقعه المتميز وأعتقد أن لا مبالغة فيما أنجزه رعد وهذا البعض، فقد كانا يمثلان نموذجاً من جملة نماذج أخرى قليلة رفدت عملية التجديد الشعري ذاتها طوال تلك العقود العجاف وما رافق هذه العقود المنصرمة من تعسف واستبعاد، ومع هذا فرض الابداع الحقيقي ضرورته وأهميته اللتين عبرتا عن واقع الشعرية العراقية الحديثة، وقد ثبتت الأيام حقيقة هذا المسار، مسار عملية التجديد أو المغايرة وأرى أن هذه العملية أصبحت ممكنة التحقيق لأنها ستواجه قدراً أقل من العقبات والموانع الفكرية والنفسية خاصة وأن أوضاع العراق ربما قد بدأت بالاستقرار النسبي ولربما أيضاً ستبلغ حداً كبيراً من الثبات بعد أن بدأت، رغم كل الظروف المأساوية، مظاهر الإحباط واليأس والتسليم القدرى أو الحنين المتعصب، للبعض، إلى ماضٍ مضى، تبتد وتلاشى، ولست أبالغ إذا ما زعمت أن التلكؤ عن استعمال هذه العملية التجديدية تحت أي ذريعة من الذرائع تحصل أكبر المخاطر على مستقبل الخارطة الشعرية في العراق، وطبيعي أن لا تقترن رغباتي، وأمنياتي بوصفة جاهزة ومشروع ناجز فالخطأ مرتين قاتل ومدمر والحياة بحلوها ومرها وتجاربها المتنوعة هي خير دليل لما يمكن أن يتحقق من الطموح ولما هو غير ناضج للتحقيق أو مستحيل.

ما يمكن الجزم به هنا هو ضرورة المواصلة إلى الأفضل والأجل من النصوص الشعرية المغايرة ذات التأثير الفني والجمالي واللغوي المتجدد. ٢ نعود إلى القصيدة (أغنية لطائر البرق) لنقول: ليست القصيدة عند رعد إفتراضات ثابتة لمواصفات معينة قائمة، سلفاً، في اللغة أو البناء اللفظي، وليست تحديداً مُعطى لنمذجة شعرية ما، إن القصيدة لديه هي جهد فكري، فني ولغوي خالص يتطور في بنيته ومساره أبداً، وهو في ذات الوقت مكون من تراكب لفظي جمالي بين المكونات الرئيسية المسارية للخيال أو التوضع التجديدي للبنية المعرفية للقصيدة، وبين الإحداثيات التأملية المكونة لمسار تلك المكونات وبالتالي فهي المعنى المعرفي المعطى في إحداثيات القصيدة ذاتها وهذا التحديد المعطى يبرز في هذا الجزء الذي يقول فيه: (القصيدة قرب رأسك وقدرج الماء وطائر البرق في نومك) ومن الطبيعي هنا أن يباغتنا بالسؤال الذي يدخل في تلك المكونات بما يمكن أن نسميه السؤال المفاجيء والذي يشغلنا في ذات الوقت عن البحث عن مفهوم جديد للإجابة عن طبيعة الممارسات المستبدة آنذاك وتلك المتطلعة، اليوم، إلى الخلاص من القهر المستعاد (هل رأيت أحداً في الحقيقة؟) وهذا السؤال موسوم بالعناصر المكونة للبناء اللفظي بمكوّنين لفظيين متناقضين أحدهما يتعلق بكلمة (مفتوحة) والآخر بأداة النفي (لا) وهذا ما حدده الشاعر أيضاً بمفردة (النهاية) والغلطين (قرعوا/ تفتح) وبهذا لم يخفق في تنظيمه للإنساق اللغوية المرتبطة بلحظة الكتابة وإن أخذ في بعض جوانبها أليات التمثل اللفظي التي لا يمكن عزلها، بمفهومها الشعري، عن منظومة المكونات السالفة، وبالتالي فهو مرتبط بعلاقته مع القصيدة بتعبيرها التالي

الناجح من التأكيد أو الإصرار وليس التكرار كما قد يبدو للوهلة الأولى في هذا الشطر الذي يقول فيه بشكل تحكّمي وفقاً للاتجاهات الصوتية المضاعفة النبرة في القصيدة: (وأن قرعوا لا تفتح/ دع النهاية مفتوحة وأغلق الباب جيداً وإن قرعوا لا تفتح). كيف يمكن أن يدخل موضوع (الأمان) إلى مشكلة (النوم) يهدوء تام، ثمة مشاورة شعرية فلسفية يتقصدها الشاعر بعد أن يقحم خياله بواقع يمكن أن نطلق عليه صفة اللامرئي خصوصاً وهو يُنهى القصيدة بعلامات بيّنة تطفو على كل التصورات الممكنة لتفسيرات القارئ بما في ذلك تصورات أو تفسيراته الخاصة المرتبطة بعلاقته التأملية مع الواقع المزغ الذي سيلعب فيما بعد دوراً هاماً في عملية النوم وفي تحديد سماته الهادئة ولربما تتضمن مشكلة النوم جدلاً أو بعداً مستقلاً عن كل أشكال التحليلات النفسية، فعلى ساذاً أستند الشاعر عندما زعم أن النوم يؤسس للهدوء أو يفضي له وأن له كذلك علاقة تبادلية مع الامان، يبدو لي أن هذه العملية تحتاج إلى مصداقية وحيدة تتمثل بقرار شعري من الشاعر نفسه ليس له علاقة بذلك الواقع، الشاعر الذي يريد للقصيدة أن تنجو وللشعر أن يبقى شديداً لقرار اللحظة الإنسانية النقية التي تشمل قطعاً نقاء روح الشاعر في وطن يعيش على الإستنتاج الخاطي، الإستقراء المريب، الممارسات القمعية وزوار الفجر من خلال منظومة اللاوعي والإجابات المغلوطة عن التاريخ الإنساني، وإذا كان هنالك من حالة نادرة على إنجاز تلك المهمة، النوم (هادئاً، بأمان) إلا من خلال عقد اجتماعي إنساني واع ولكن الشاعر لا يمكنه إنجاز تلك المهمة بمفرده ونفس الشيء ينطبق على الشعر، أيضاً، حتى إذا سلمنا بقول القصيدة: (نم هادئاً هادئاً بأمان) ثمة إشارة، لا علاقة لها بالتناص، في هذا المقطع أعلاه أحياناً إلى مقطع شعري للشاعر العراقي فوزي كريم يتحول فيه الشعري إلى مدرك حسي وأن هذا المدرك يحمل بين انساقه الفكرية، التي تتدخل في بلاغيته اللغوية أو تقتحمها، سحرًا متقللاً بالتفاصيل الدقيقة

والتصورات المخيلة والإستدلال العقلي يتناول فيه فوزي كريم رؤيته الشعرية الذاتية أو تجربته الخاصة المثقلة بالتذكر المرتبط بالمتن، الذي هو قوام هذا المقطع الشعري المشحون، الكثيف الدلالات والمعاني، والذي يتساءل فيه بمرارة موحجة: (لماذا يتكرن نهر نجلة بالمتن والفجر بالاعتقال؟) بمعنى آخر أن اللغة الشعرية هنا تبدأ من الإحساس بمفردات الحياة الملامسة للشاعر بوجه خاص وللإنسان بوجه عام، وبهذا نستطيع القول أن اختيار الشاعر رعد لموضوعه النوم الهادئ، مجازاً، هي مسألة لا يأنفها ولا يتعامل معها إلا من خلال الشعر. يعتمد الشاعر رعد عبد القادر كثيراً على الإبتسار حتى وأن كان قادراً على الإسهاب، ففي وسعه أن يتلاعب باللغة ويطوعها كما يريد، ولكن اهتمامه الكبير بأشكال الخلق الفني هو الذي يبتغعه في المضي وراء هذا الإسهاب اللامعدي، في أغلب الأحيان، لذلك أثر بقاء نصوصه داخل حميمية المفردة الشعرية المبتسرة والتي، بدورها، لا تختزل المعنى الجمالي أو الشعري، ونظرة شاملة على مجمل نتاجاته الشعرية: (مرايا الأسئلة/ ١٩٧٩/ جوائز السنة الكبيرة/ ١٩٩٥/ د/ البلبيل يتعجب/ ١٩٩٦/ أوبرا الأميرة الضائعة/ ٢٠٠٠/ صقر فوق رأسه شمس/ ٢٠٠٢/ وله أيضاً في ذكرى ساعي البريد/مرايا عوليس الفسطيني/شائعات سوق يحيى) تكفي لتبين لنا بوضوح شديد أن كل عناصر أو مبررات هذا الإبتسار تنسحب، لاحقاً، على حميمية القصيدة خاصة في صورتها المتفردة المغايرة وبشكل أكثر تحديداً الخلق الفني الذي هو أشد وأعسر أنواع الكتابة، بهذا المعنى يمكن اعتبار ما يكتبه رعد شعراً حميمياً مبتسراً ولصيقاً بالعالم والحياة والكون أو بالأشياء المحيطة به حتى وأن تضمنت، هذه الأشياء، انتهاكاً لقواعد السلوك الإنساني المتعارف عليه، ولكن لطابعها الرمزي أو لإشاراتها ودلالاتها تنمضي القصيدة إلى ما لانهاية أيضاً ذلك لأن الهدف الرئيسي من هكذا كتابة شعرية إنما يحمل رسالة معرفية مجردة واضحة للفن الحقيقي



## عراقيون

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير

فوزي كريم

رئيس التحرير التنفيذي  
عدنان حسين

نائب رئيس التحرير: علي حسين

الإخراج الفني: خالد خضير

طبعت بمطابع مؤسسة



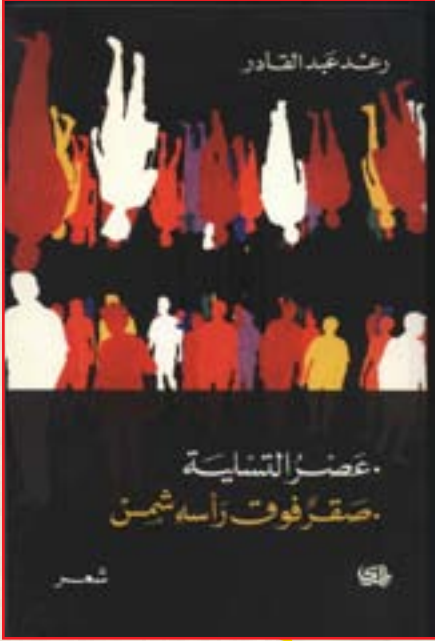
للإعلام والثقافة والفنون

WWW. almadasupplements.com



# مصباح وخرائط للرحلة

زعييم نصار



قوارب الأبدية قصيدة الشاعر رعد عبدالقادر المنشورة في جريدة الجمهورية في بداية التسعينيات أو بعد انتفاضة آذار بشهور، والتي لم يحصل على نسختها، بعد أن ضاع منه أصلها، ولم تتضمنها أعماله الشعرية الكاملة التي صدرت عن دار الشؤون الثقافية ٢٠١٣، لأنه لم يحتفظ بنسخها الأصلي أيضا، كما قال لي في حينها وطلبها مني ولكن ظروفه الخاصة حالت دون وصولها إليه.

في توأجدا ذاته حين التقيته بعد غياب طويل في مقهى الجماهير سنة ١٩٩٧ أكد لي بأن هذه القصيدة هي التي أثارت غضب النظام عليه، وجعلت رقيب الثقافة الصدامي يضع علامة استفهام كبيرة حول اسمه و مؤشرا لبداية جديدة للتعامل معه بوصفه شاعرا معارضا للدكتاتور ولبقائه في السلطة:

((قوارب الأبدية))

زعموا انها تغرغ حمولتها في كل شتاء  
وتبدل طاقمها في كل رحلة،  
كنلك انشغلوا بالدهان والصبغ  
وأورثوا كل ملة خشبة ومسامرا  
ليصلحوا من شأن قوارب الأبدية.

هم تركوا الخرائط على الأرض

والمصباح المنير

والاصطراب

وحشوا جيوبهم برنين المعدن...

كانت فراشة من القصدير تحلق فوق رؤوسهم

وشجرة من النحاس

ترافقهم فوق تراب الأبدية))

## الرحلة الباطلة

بقواربه يحول أبدية هذه البلاد التي بلا ولادة ولا موت، إلى منظر براني، هو منفذ نحو المرئي والغناء، لأن طاقمها ترك الخرائط والمصباح والاصطراب، وسار بلا بوصلة، ملاً جيوبه بالمال والذهب، هذا الفعل العايب يخبث بطلان الرحلة، ويؤكد تناقض الزمان الذي يخلق لحظاته من أجل الأبدية التي هي غايته وزواله في أن معا، فكأنه يوجد من أجل أن يفنى وكان هدفه هو تدمير نفسه في دورة خرقاء لا طائل تحتها.

هذه القوارب أو هذه السفينة (الحياة) التي هي مكان للضرورة والبناء والرفعة والتأسيس والبدائيات الجديدة الخارقة، خرقها (الكابتن) بعنجهيته وظلمه وظلامه وأمراضه، وغبائه فأضاع الخرائط وكسر المصباح المنير لتعم العتمة، ترك الاصطراب أداة العلم، استبدلها بسيف القعقاع، ذاهبا في رحلة إيمانية كاذبة، جعل البلاد مكان حربيا مرعبا، مكانا بلاستيكيًا ينكسر كل لحظة، مكان موت وزوال،

فانشغل  
الطاقم به، بتلميع

صوره وخط لافتاته، وكتابة

بياناته، وصناعة الأفتعة، يدعون إصلاح أبدية الوجود التي طردتهم وستطرد اللاحقين منهم إلى المزابل والمقابر بعد ان كنزوا الذهب والفضة، دفنتهم الأبدية في ترابها، وجمدت أرواحهم البلاستيكية كفراشات من القصدير على أعصان شجرة عمياء لم تنمر هي شجرة النحاس، شجرة الحرب.

## قصيدة مشاعر وأفكار

قبل الإحاطة بتجربة شعرية كبيرة مثل تجربة رعد عبد القادر الشعرية على مستوى الدراسة بمستواها الأفقي والعمودي والرؤيوي، والتي تجسدها مجاميعه الكثيرة بعضها صدر في حياته وبعضها الآخر بعد رحيله، تجربة تمتد منذ السبعينيات من القرن الماضي، الى بدايات الألفية الثالثة حيث موته المبكر في سنة ٢٠٠٣. نتجت عنها: مرايا الأسئلة ١٩٧٨ - جوائز السنة

الكبيسة ١٩٩٥- دع البلبل  
يتعجب ١٩٩٦- أوبرا الأميرة  
الضائعة ٢٠٠٠ - صقر  
فوق رأسه شمس ٢٠٠٢-  
عصر التسليحة ٢٠٠٦ صدر  
عن دار المدى، الأطروحة  
الشعبية ١٩٩٤، و المؤرخ  
الإلكتروني ٢٠٠١، ومرايا  
عوليس الغلستيني ٢٠٠٢،  
شائعات سوق يحيى وكتب  
وقصائد أخرى تضمنتها أعماله  
الشعرية الكاملة التي صدرت عن  
دار الشؤون الثقافية ٢٠١٣، علينا  
ان نعرف ان نصوصه وكتابه الشعرية  
الجديدة تنفتح على نوع من السيرة  
يسميه هو: ((السيرة الشعرية، حيث فيها  
لا تتم صياغة الأسطورة أو التاريخ صياغة  
أدبية تلتزم بمنطق الأسطورة أو التاريخ، ذلك أن  
السيرة الشعرية تنفذ بانفتاح في الشكل على أبنية  
روائية وقصصية ومسرحية، حيث الزمن يتنوع  
والذات تشتبك واللغة تتشظى وحيث المكان يتبادل  
مواقعه مع الزمن))

في سيرته المهمة هذه يتداخل كل شيء الراوي  
والرواية والمروى عنه يتبادلون أوقانهم وأوارهم  
وأمكنهم مرة يصبح الراوي رواية ومرويا عنه  
وإذ ذلك تصبح الذاكرة خزانة سحرية لوثائق  
النص، ومرة ينسحب الراوي لتظهر الرواية  
كذاكرة لوثائق الراوي، ومرة تالفة تنغلق الذاكرة  
الأولى والثانية لتنتفض ذاكرة تالفة هي ذاكرة  
المروى عنه، هكذا تستمر عملية الفتح والغلق  
داخل دائرة الذاكرة الكبرى للسيرة الشعرية، هكذا  
يكشف الشاعر عن طريقته في الكتابة الشعرية  
الجديدة ويكشف من طبيعة تحرك العناصر  
(السيرية) في النص.

قصيدة الشاعر رعد عبد القادر حكاية مفتوحة  
على النقصان الذي يثريه التلميح، عبر بني رمزية  
ومجازية، يسندها سرد شعري يتموج فيه التعبير  
الصريح، والاختزال العاطفي، قصيدة مشاعر  
وأحاسيس وتصورات وأفكار، قصيدة كأنها مشهد  
سينمائي مركب من لقطات وصور.

عراقيون

